

التربية بالقدوة



الخميس 20 أكتوبر 2022 09:37 ص

فتحي السيد

التربية بالقدوة العملية لها أثرها الكبير في إصلاح المترابي وتغييره إلى الأحسن، لأنها تجسد المعاني إلى سلوكيات، وتحول الأقوال إلى أفعال، وترجم النظريات إلى ممارسات.

القدوة مهمة في التربية، وبدونها تصبح العملية التربوية ناقصة ومبتورة، إذ لا تكفي الكلمات والمواعظ لإصلاح الإنسان، فلا بد للشخص أن يرى تلك الكلمات سلوكاً متجسداً في الحياة، لذا عندما وصفت عائشة -رضي الله عنها- النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالت: "كان خلقه القرآن"، إذ تحولت تعاليم القرآن إلى خلق وسلوك.

أداء العبادة أمام المترابين هو أسلوب من أساليب تعليمهم وتربيتهم على أدائها صحيحة، بحسب الكيفية التي أدى بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذه العبادة، فهو القائل صلى الله عليه وسلم: (صلوا كما رأيتموني أصلي) رواه البخاري. ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلم أن يجعل لبيته نصيباً من صلاة السنن، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً) رواه مسلم .

وفي قصة ابن عباس -رضي الله عنه- وصلاته مع النبي -صلى الله عليه وسلم- تأكيد على التربية بالقدوة في العبادة، فعن ابن عباس -رضي الله عنه- قال: (بُتُّ عند خالتي ميمونة ليلة، فقام النبي -صلى الله عليه وسلم- من الليل فتوضأ من شن معلق وضوءاً خفيفاً، وقام يصلي، قال: فقمتم فتوضأت نحواً مما توضأ، ثم جئت فقمتم عن يساره، فحولني فجعلني عن يمينه، ثم صلى ما شاء الله) رواه البخاري .

وتعتبر السيرة النبوية بأحداثها ومواقفها مدرسة نبوية متكاملة، لما تحملها بين ثناياها من المعاني التربوية العظيمة، التي تضع للدعاة والمربين منهج التربية الصحيح، وتبين لهم وسائل الإصلاح - للفرد والمجتمع -، والتي منها التربية بالقدوة والأسوة الحسنة، قال الله تعالى: { لَعَدُ كَانَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } (الأحزاب: 21) ..

أورد أبو نعيم في الحلية، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: أن الشافعي أدخل يوماً إلى بعض حجر هارون الرشيد ليستأذن على أمير المؤمنين ومعه سراج الخادم، فأقعدته عند أبي عبدالصمد مؤدب أولاد الرشيد، فقال سراج للشافعي: يا أبا عبدالله هؤلاء أولاد أمير المؤمنين وهو مؤدبهم فلو أوصيته بهم، فأقبل الشافعي على أبي

عبدالصمد فقال له:

«ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاح نفسك فإن أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تركته، علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجره، ثم روهم من الشعر أعفه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه؛ فان ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم.»

ومن صفات المربي استشعاره أنه قدوة للآخرين، وخصوصًا من يربيههم وهم ينظرون إليه فيما يقول ويفعل ويتصرف، فما فعله فهو الحق عندهم، وما تركه ولم يهتم به فلا يلتفتون إليه في الغالب. ومن هنا وجب على المربي أن يكون حريصًا جدًّا على سلوكه معهم، حتى لا يفسد بفعله ما يدعو إليه بقوله، وإن التأثير بالقدوة يختصر المسافات التربوية الطويلة، ويخفف من الجهود المبذولة في غرس كثير من المفاهيم المطلوب غرسها في المتربين، والقدوة الأولى في ذلك المصطفى - صلى الله عليه وسلم - {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} [الأحزاب: ٢١] وكان يقول: «صلوا كما رأيتموني أصلي»

إن المربي قدوة في عبادته وذكره وسمته وجميع فعالة فإذا رآه المتربون ذا سمت وهدى حسن؛ تأثروا به وإن كان حريصًا على طلب العلم وعلى الدروس حرصوا على ذلك، وإن رأوه حريصًا على الدعوة؛ نشيطًا فيها مضجًا بجهد ووقته وماله تأثروا بذلك، وأصبحوا حريصين على الدعوة حتى ولو لم يسمعوا كلاً ما كثيرًا عنها، أو يقرؤوا عنها كثيرًا، فالفعل من المربي أبلغ كثيرًا في نفوس المتربين من كثير من الدروس والكلمات. وإن كثيرًا من صفات المربي الناجح قد تنتقل منه إلى المتربين عنده بفعل القدوة الحسنة، وربما لا يشعر هو بذلك أو لا يعيره اهتمامًا كبيرًا، فليجعل المربي من نفسه قدوة لهم وليستشعر ذلك ويحاسب نفسه عليها.

إن المربي الناجح يجب أن يكون لديه المقدرة على الاهتمام بالآخرين، بأن يعطيهم ما عنده من الخير؛ لأن الاهتمام بالآخرين عنصر ضروري للتربية، لا بد أن يتوافر في المربي لكي ينجح في مهنته الخطيرة.

